مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد13- العدد2/ 2022،ص ص287-308

الجزائريون من التحالف مع الإخوة بربروس لطرد الصليبيين إلى تشكل نظام سياسي جديد مطلع القرن 16م

Algerians going from the Alliance with Barbarossa Brothers to force out the Crusaders, arriving at the Foundation of a New Political System in the early 16th Century

نبيل تشيش[1]*، عبد الكامل عطية[2]

[1] جامعة حمه لخضر الوادي (الجزائر)، techiche-nabil@univ-eloued.dz

[2] جامعة حمه لخضر الوادي (الجزائر)، Abdelkamel18@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2021/05/01 ؛ تاريخ القبول : 2022/02/08 ؛ تاريخ النشر : 2022/06/12

الملخص

تتناول هذه الدّراسة معالم بداية ظهور النّظام السّياسي العثماني في الجزائر والّتي مرّت خلال مطلع القرن 16م بمرحلة فاصلة تميزت بالتّحول المفاجئ على مستوى نظام الحكم فالجزائر كانت عبارةً عن مجموعة من الإمارات متفرقة هنا وهناك يخضع القسم الأكبر منها للزيانيين، فبعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة 1492م اختلت موازين القوى بين ضفتي الحوض الغربي للمتوسط، ونتيجة ملاحقة المسلمين الفارين من الأندلس انتقل الصّراع الصّليبي الإسلامي إلى داخل البلاد المغاربية الّتي كانت تعاني من الانقسام والصّراعات، ففي المغرب الأوسط احتل الإسبان كل من المرسى الكبير ووهران وبجاية وغيرها وأمام عجز الجزائريين حكومةً وشعبًا في الدّفاع عن أراضيهم رغم المقاومة؛ ظهر الإخوة بربروس في حوض المتوسط، وانتقلوا إلى الجزائر بعد استنجاد الأهالي بهم ابتداءً من سنة 1512م، حيث استطاعوا صدّ الإسبان والحد من توسعاتهم بالتعاون مع السّكان المحليين كما تتناول الدّراسة مظاهر احتدام الصّراع الإسباني الجزائري في فترة ما بين (1516–1519م)، فالجزائريون مدعومون بالإخوة بربروس الّذين استمدوا الشّرعية في أعمالهم والدّعم من الإمبراطورية العثمانية أرادوا إنهاء الوجود الإسباني إلاّ أنّ

Abstract

The present study aims at shedding light on the beginning of the Ottoman political system in Algeria, experiencing in the early 16th centurya sudden transitionin the governing regime. Actually, it used to be a group of scattered emirates, the majority of which subjected to the Zayyanid. After the fall of Granada in 1492, the last Islamic stronghold, the power was unbalanced between the two banks of the western Mediterranean basin. Resulting from the chase of Muslims fleeing Andalusia, the Islamic-Crusader clash moved into Maghreb countries which were already suffering from internal division. In Central Maghreb, Mers El Kebir, Oran, Bejaïa…etc. fell under the control of the Spaniards. Due to the inability of Algerians to defend their lands despite the resistance, the Barbarossa brothers moved to Algeria after the people sought their help in 1512. They could ward off the Spaniards in cooperation with local people. This study tackles as well the clash that raged during the period (1516-1519)between the Crusaders and Algerians supported by Barbarossa brothers who gained the legitimacy and support from the Ottoman Empire. The matter is that the local powers' attitude was dual: sometimes they support the Ottomans, contrarily they ally with the

النّتائية في المواقف لبعض القوى المحلية فتارة مع دعم العثمانيين وتارة يتحالفون مع الإسبان أطالت من تواجد الصّليبيين في الجزائر خلال هذه المرحلة ليصير هذا الجدال في أواخر سنة 1519م إلى بداية ظهور النّظام السّياسي العثماني بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ إسبانيا؛ الإخوة بربروس صراع؛ الحكم العثماني.

Spaniards! This appeared in the late 1519 until the emergence of the Ottoman ruling regime in Algeria.

Key words: Algeria, Spain, Barbarossa brothers clash, political system, Ottoman ruling

***المؤلف المراسل.**

مقدمة :

لقد ظلّت منطقة المغرب الإسلامي تتمتع بوحدتها السّياسية إلى غاية القرن الثّالث عشر الميلادي في ظل سلطة الموحدين، الّذين تمكنوا من التّصدي بكل قوة للغزاة، فلم تكن تجرؤ أي قوةٍ أوربيةٍ على النّيل من ممتلكاتهم، لكن دولة الموحدين لم تلبث أن انقسمت على نفسها إلى ثلاث إماراتٍ رئيسيةٍ ظلّت تتقاسم السّيادة على منطقة المغرب الإسلامي وتسعى كلٌّ منها إلى فرض سيطرتها على المناطق المجاورة لها. وهذه الإمارات الثّلاث هي إمارة الحفصيين بتونس، إمارة الزّيانيين بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وإمارة المرينيين بالمغرب الأقصى.

أمّا العلاقات بين هذه الإمارات فقد تميزت بالتّطاحن والنّزاعات المستمرة، والضّحية في أغلب الأحيان هم الزّيانيون في تلمسان الّذين وجدوا أنفسهم بين فكي رحى أطماع الحفصيين من الشّرق وأطماع المرينيين من الغرب، وكلٌّ منهما يسعى للقضاء عليها والتّوسع على حسابها، ورغم أنّ الزّيانيين قد تمكنوا من الحفاظ على مُلكهم لمدة ثلاثة قرون، إلّا أنّ عرشهم ظل مهددًا وخاصة من طرف المرينيين الّذين سلبوا منهم السّلطة في عديد المرات وما زاد الوضع سوءًا اختلال موازين القوى بين ضفتي المتوسط بعد سقوط غرناطة سنة 1492م إلّا أنّ ظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط ساهم في إعادة التّوازن.

ساهمت أحداث أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السّادس عشر الميلاديين في انتقال الصّراع الصّليبي الإسلامي إلى داخل أراضي المغاربة، حيث برزت الجزائر كرقعةٍ للصّراع الّذي كان له تداعيات لعلّ أبرزها بداية تشكل نظامٍ سياسيٍ جديد في الجزائر.

1.I- نظرة على الوضع السياسي الجزائري قبيل تدخل الإخوة بربروس:

في نهاية القرن 9هـ /15م تأزمت أوضاع بلاد المغرب، وكانت الفوضى السّياسية والاضطرابات وتداخل الممالك ببعضها البعض قد بلغت مبلغًا يصعب وصفه، وإنّ الإنسان ليصاب بنوع من الذّهول وهو يتلو قائمة الممالك والإمارات الّتي اقتسمت رقعة الشّمال الإفريقي (المدني، د.ت: 68).

لقد كانت الأوضاع السّائدة في المغرب الأوسط (الجزائر) تُعبّر عن حالةٍ من الفوضى القبلية وتعيش في ظلّ الانفصال والاستقلال القبلي، فقد انفصلت بجاية عن تونس في بداية القرن الخامس عشر وقام الملك عبد العزيز بتوسيع حدود مملكته، فاصطدم بحاكم قسنطينة أبي بكر شقيق أبو العباس سلطان تونس، هذه الصّراعات أنهكت قوى الولايتين وانتهت بسقوطٍ مفاجئٍ لبجاية في يد الإسبان(Haedo, 1881, 10) . أمّا الأحوال في مدينة الجزائر التّابعة اسميًا لبني زيان، فقد فضّلت الخضوع لملك بجاية مع التّمتع ببعض مظاهر الاستقلال، كما ظلّت مدينة جيجل تتمتع بصفة الإمارة المستقلة قبل أن يسيطر عليها الجنويون والّذين أقاموا بها فيما بعد قلعة لصيد المرجان عام 1513م بقيادة أندري دوريا وبعد سنة تمكن عروج من افتكاكها واتخذها قاعدةً له بدلًا من جربة وحلق الوادي، لقربها من مواقع الصّراع ضد القراصنة الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط (بوعزيز، 2009: 35).

أمّا مدينة القل فكانت إمارةً شبه مستقلة عن ولاة قسنطينة وسلطان تونس ونظرًا لاعتبارها منفذًا تجاريًا بحريًا إلى جانب سكيكدة، فقد شكّلت محور الصّراع بين أطراف العائلة الحفصية والقبائل المستقرة في المغرب الأوسط عكس عنابة الّتي ظلّت تحت سيطرة الحفصيين إلى غاية تسليمها من قبل هؤلاء لشارل الخامس إلى جانب هذا كانت وهران تحت الاحتلال الإسباني (الجيلالي، 1994: 15).

إنّ أغلب المدن الساحلية كوهران ودلس والجزائر وبجاية وجيجل وغيرها كانت تحت حكم أمير زياني المنشق عن الدّولة الزّيانية كتنس، أو أمير حفصي المنشق عن الّدولة الحفصية ببجاية، أو تحت حكم المشيخات المستقلة، مثل مشيخة الجزائر الّتي كانت تحكمها قبيلة الثّعالبة (أنظر التّعليق رقم :1)، بينما ظلّت المناطق الجبلية مستقلة، وقد تأسست في بعضها إمارات مثل إمارة كوكو (أنظر التّعليق رقم :2) الّتي شملت الجزء الغربي من جبال القبائل، وأمّا الجزء الشّرقي (بجاية) فإمارة بني عباس، واقتصر حكم بني زيان على تلمسان وضواحيها،

أمّا جنوبًا فنجد كل من أسرة بني جلاب (أنظر التّعليق رقم :3) في توغرت وقصور وادي ميزاب التي كانت خطًا تجاريًا هامًا يربط كل من مدينة الجزائر وبجاية بأرض السّودان.

بثنائية نظام الحكم والمعارضة رغم اختلاف الظّروف والأسباب، فقد كان لسالم التّومي معارضين إزاء مشروعه القاضي بإعلان الطّاعة والخضوع للإسبان خاصةً أثناء اضطرابات عام 1510م الّتي وقع فيها الاختلاف حول دفع الضّرائب للإسبان والسّماح لهم ببناء قلعةٍ قرب المدينة، ونتيجة لقرار الملك الإسباني عام 1511م المفضي إلى الزّيادة في الضّريبة الّتي يدفعها سالم التّومي مقابل الحماية بخمسين في بالمائة على مستورداتهم من الصّوف من أجل دفع تكاليف حملاته على إفريقيا، فطلب السّكان مقابل ذلك من الملك الإسباني استبدال المعاهدة بهدنة والانسحاب من القلعة غير أنّه رفض استنادًا إلى معلوماته حول امتعاض السّكان في مدينة الجزائر الّذين كانوا يرون في هذه القلعة الحامية لأمن تجارتهم وممتلكاتهم، وحماية لميناء المدينة (وليم، 2006: 35-36)، فأصبحت بذلك مدينة الجزائر خاضعةً مهدّدةً، مقسّمةً، وقلعة البنيون بمثابة حاجزٍ يعيق عملية الملاحة والتّجارة.

هذا الفشل والضّعف الّذي عان منه المغرب الأوسط يعود بالدّرجة الأولى إلى عدم وجود جيشٍ نظاميٍ قويٍ قادرٍ على مواكبة تلك التّطورات الّتي شهدتها الضّفة الأخرى على الأقل في تلك الفترة.

2.I- مظاهر الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية :

كان للأوضاع القائمة في شمال إفريقيا أثرٌ كبيرٌ في توجيه السّياسة الإسبانية، فقد شهدت الدّول الثّلاث الحاكمة في أقطار الشّمال الإفريقي حالة ضعفٍ شديدٍ لم يسبق وأن وصلت لتلك الدّرجة من الضّعف ممّا ساعد على تفكك السّلطة السّياسية وانتشار الفوضى كما أسلفنا الذّكر، وصارت أقطار المغرب العربي ولاسيّما المغرب الأوسط فسيفساء يتعذر تحديده (فارس، 1969: 15).

لعبت الكنيسة دورًا بالغ الأهمية ومساهمة عظيمة في غزو بلاد المغرب، فالبابا اسكندر السّادس (1492– 1503 م) دعا جميع البلاد المسيحية لوضع إمكاناتها البشرية والمادية تحت تصرف ملوك إسبانيا من أجل إبعاد الخطر الإسلامي، وكان الكاردينال خيمينيس دي سيسنيروس (ximenes de Cisneros) بمثابة المهندس والمشرف عليها، حيث قدّم من ماله الخاص ما يكفي لإعداد أسطولٍ كاملٍ، كما لعب رجال الدّين الآخرون كالقس ليوماتران (leomatran) والكاردينال بوركوس (bourkouss) الدّور الأساسي في إعداد الحملات الإسبانية وتوجيهها، بل قدّموا من مالهم الخاص المبالغ الّتي أمكن بها تجهيز الحملات ولم يكتفي رجال الدّين الإسبان بذلك، بل راحوا يناشدون كنائس إسبانيا وأوروبا لدفع المال والمساهمة في الحرب الدّينية (العبيدي، 2017: 102).

اعتبر الإسبان شمال إفريقيا بمثابة نقطة عبورٍ لإعادة فتح إسبانيا من طرف المسلمين والمغاربة وكانت في نظرهم السّند العسكري القوي الّذي أخّر عملية الاسترداد لعدّة قرون رغم ما كان عليه مسلمو الأندلس من ضعفٍ وتمزق، لذا حرّضت الكنيسة الإسبانية خصوصًا وسكان أوربا عمومًا على مواصلة الحرب ضدّ الإسلام والمسلمين، كما كانت وصية الملكة (إيزابيلا) (أنظر التّعليق رقم :4) حافزًا لمواصلة الحرب ضد المسلمين بالغرب إضافةً إلى دور رجال محاكم التّفتيش الّذين ظلّوا على الدّوام يغذّون نار التّعصب، وخلال هذه الفترة زاد قلق الإسبان من ظهور النّشاط البحري الإسلامي على سواحل المغرب ورفعه لمبدأ الجهاد (بوحوش، 1997: 52) .

بعد سقوط الأندلس وجه الملك (فرديناند) ferdinand (أنظر التّعليق رقم : 5) والملكة (إيزابيلا) isabelle أنظارهم صوب بلاد المغرب فكانت أوّل نقطة احتلها الإسبان هي مدينة مليلة عام 1497 وهذا بعد إبرامهم معاهدة توردسيلاس Toro silles في 7 جوان 1494 والّتي بمقتضاها قسّمت مناطق النّفوذ بين إسبانيا والبرتغال، ومنها كانت انطلاقة الإسبان لغزو السّواحل الجزائرية، إذ استطاعوا خلال ثلاثين سنة، أي من 1505 إلى 1535م احتلال مواقع ومدن على طول السّاحل الجزائري، كانت البداية بالمرسى الكبير

الّذي سقط على يد دون ريمون دي قرطبة ‹ don raymond di cordoue › في 1505م، وبعد أربع سنوات تمّ احتلال مدينة وهران، ثم يأتي دور بجاية الّتي سقطت بيد الإسبان سنة 1510م، وهذا ما يظهر حرص الإسبان على التّوسع والإبادة في حق المسلمين وبالأخص في فترة الكاردينال خسيمينيس (Haedo, 1881, 10).

كانت مظاهر الاحتلال الإسباني للسّواحل الجزائرية عبر مراحل، وتمثلت بداية في قطع الطّريق أمام المسلمين الفارّين من الأندلس وعزلهم داخل إسبانيا، وبعدها انتقل برنامج الصّليبيين إلى الخطوة الثّانية وهي تحصين وتعمير المدن المحتلة بالإسبان وجعلها مدنًا مسيحيةً، لأنّه بغير هذه الطّريقة يصعب عليهم الاحتفاظ بهذه المستعمرات أمام الخطر المحدق بها من طرف المسلمين (المدني، د.ت: 138-139).

على إثر سقوط مدينة وهران بادر بعض ملوك بني زيان إلى إعلان الولاء والخضوع للإسبان وحذا حذوهم بعض ملوك بني حفص بتونس على إثر سقوط بجاية، ولم تجد المدن السّاحلية بُدًا من السّير على نفس النّهج الاستسلامي الّذي سلكه الملوك الزّيانيون والحفصيون (قنان، 2007: 18-19).

بعد تفاوض مدينة الجزائر مع مجلس سرقسطة من أجل بناء حصنٍ على إحدى الجزر المقابلة للميناء، وبمجرد الاتفاق أرسل الإسبان أحد المهندسين العسكريين فأشرف على بناء القلعة الّتي أصبحت تُدعى صخرة الجزائر (penon D'Alger) على أنقاض منار إسلامي قديم واحتل الإسبان صخرة المرسى وبنو عليه حصنهم المشهور المعروف باسم البينيون (أنظر التّعليق رقم: 6) سنة 1510م الّذي أصبح شوكة في حلق المدينة (الجيلالي، تاريخ المدن الثّلاث، الجزائر، المدية وملیانة، في موسمها الألفي، 2007: 109)، حيث أصبح وكرًا للجوسسة والتّخريب يشن منه الإسبان دومًا الغارات، فيسلبون من السّكان والتّجار على وجه الخصوص أموالهم ويعرّضون حياتهم باستمرار إلى الخطر الشّديد ممّا جعل المدينة في حالة استنفارٍ دائمٍ فسئم أعيان المدينة من ذلك.

1.II- جهود الإخوة بربروس في طرد الإسبان من الجزائر :

أثناء الأحداث والتّطورات السّريعة خلال هذه الفترة ذاع صيت وازداد نشاط الإخوة (انظر التعليق رقم :7) بربروس (انظر التعليق رقم :8) في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط حيث كانوا يعملون على إنقاذ مسلمي الأندلس الفارين عقب سقوط غرناطة، وقد اتخذوا من جربة قاعدة خلفية لهم (غطاس و أخريات، 2007: 20).

إنّ أول من استنجد بالإخوة بربروس هم علماء وأعيان مدينة بجاية والأمير الحفصي أبي بكر في سنة 1512م حيث استنصروهم لإنقاذهم من يد العدو الصّليبي، فتوجه إليها الإخوة وحاصروها لكنّهم اضطروا إلى التّراجع والعودة إلى تونس حيث فقد عروج ذراعه إثر إصابة أصيب بها أثناء المعركة (المدني، د.ت: 163-164).

حذّر خير الدّين أخاه عروج واقترح عليه محاصرة بجاية بحرًا وترك المتطوعين لمحاصرتها برًا حتّى يُضعِف أمرها وتحين فرصةٌ مناسبةٌ للهجوم، غير أنّ عروج صمّم على النّزول بقسم من قواته للقيام بهجومٍ فورِي، فكان هذا إنذارًا للإسبان الّذين عرفوا وقدّروا بأنّ تلاحم القوى في البر والبحر سيؤدي إلى تعاظم قوة المسلمين، فعملوا فورًا على طلب المزيد من الدّعم من إسبانيا، وغيّروا بالمقابل سياستهم للفصل بين القوى البحرية لعروج وأخيه خير الدّين والقوى البرية المحلية في المغرب الإسلامي، وذلك باستمالة بعض الشّخصيات المعروفة وكذلك بعض القبائل وإغداق الأموال عليها، وبذلك أمكن لهم العثور على من يتعاقد ويتحالف معهم لتأمين الجنود والتّموين للحامية الإسبانية، فكانت نتيجة ذلك إصابة عروج في ذراعه برصاصة فكسرتها (التر، 1989: 45-46) وفي شأن هذه المعركة يروي خير الدّين في مذكراته: (أربع سفن صارت أربعة عشر): "لم يستمع أخي لقولي بل أعطى أوامره بالشّروع في الهجوم على قلعة بجاية الّتي كانت تعج بالجنود الإسبان، وفضلًا عن ذلك فقد التحق بهم رفاقهم الّذين اندفعوا للاحتماء بأسوار القلعة.

شرع أخي في مهاجمة القلعة الّتي كانت تمطر علينا وابلًا من قذائف المدفعية والقنابل، خلال ذلك فقدنا ستين شهيدًا وعددًا كبيرًا من الجرحى، كنّا على وشك الاستيلاء على القلعة، غير أنّه في الوقت الّذي اشتد فيه لهيب المعركة أصيب أخي بقذيفة في ذراعه الأيسر.

عندما رأى الإسبان ذلك فتحوا أبواب القلعة وقاموا بمهاجمتنا، حزنت كثيرًا لأخي الّذي كان قد جُرِح جراحًا بليغةً، وبسبب حنقي على الإسبان قمت بهجومٍ عنيفٍ عليهم مع ثلاث مئة أو أربع مئة مقاتلٍ من رجالي وأعملنا فيهم السّيف، وتمادينا في تعقبهم حتّى دفعناهم إلى الاحتماء بأبواب القلعة، في هذا الهجوم قتلنا ثلاث مئة إسباني وأسرنا مئة وخمسين منهم لم يكن من المناسب المكوث طويلًا أمام القلعة، وأما أخي فقد كان قد فقد وعيه من شدة ما كان يعانيه من جراحه، جمعت جنودي وأمرتهم بركوب السّفن بينما استمر الكفار في قصفنا (بربروس، 2010: 52-53)".

وبعد سنتين من ذلك تمكن عروج وإخوته من افتكاك مدينة جيجل وذلك في سنة 1514م من الجنويين فاتخذوها قاعدةً لهم، ومنها واصلوا نشاطهم، وحاول عروج تحرير بجاية من جديد في سنة 1515م بمساعدة القبائل الجبلية، وتمكن من الاستيلاء على إحدى القلعتين الّتي بناها الإسبان وحاصر بجاية والقلعة الثّانية لكن لم يوفق في تحريرها لأن تلك القبائل انصرفت دون استئذانه فاضطر عروج إلى الانسحاب نحو مدينة جيجل (الوزان الفاسي، 1983: 38-39).

وعقب وفاة الملك فرديناند في جانفي 1516م رأى أعيان مدينة الجزائر أنّهم أصبحوا في حل من المعاهدة السّابقة (أنظر التّعليق رقم: 9) فقرر مجلس أعيان الجزائر الاجتماع لإعادة النّظر في قضية المعاهدة وكان سائدًا لدى سكان الجزائر انقسامًا بين المؤيد والملتزم بالمعاهدة والمعارض لها، فقد كانت السّلطة ممثلةً في شخص سالم التّومي (أنظر التّعليق رقم: 10) شيخ بني مزغنة وأعيان المجلس يرون ضرورة الاستمرار في الالتزام بالمعاهدة وبنودها في حين كان وُجهاء المدينة من شيوخٍ وأئمة يرون ضرورة التّخلص منها بالاستعانة بالقوة المجاورة للزيانيين أو الحفصيين أو المرينيين (عباد، 2012: 46)، ذلك بهدف استعادة الوضع

الطّبيعي للمدينة تجارةً ونشاطًا بحريًا، وهذا ما لا يتحقق إلّا بإزالة الحصن المقام في مدخل الميناء، ونزولًا عند ضغط سكان مدينة الجزائر وأعيانها قرر سالم التّومي الاستنجاد بعروج، فقام بتكليف وفد من الأعيان سافر إلى جيجل عام 1516م، وشرحوا لعروج ما هم عليه من الضّعف، نتيجة للوجود الإسباني وتدخله المستمر في شؤونهم والخطر المحدق بهم وبمدينتهم باستمرار، وكان هو وأخوه يتهيآن لضربةٍ قاضيةٍ ضد الإسبان في بجاية (بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2، 2009: 13).

وإذا عدنا إلى مدينة الجزائر نجد قبيلة الثّعالبة من القبائل العربية الّتي لعبت دورًا هامًا واستطاعت التّقدم إلى السّاحل انطلاقًا من الجنوب وفي عهد الزّيانيين كانوا خاضعين لملوك بني عبد الواد، إلّا أن أصبحت مسيطرةً على مدينة الجزائر وسهول متيجة وما جاورها، واستغلت مقتل السّلطان الزّياني أبو زيان أحمد، فاستولت على الحكم في مدينة الجزائر وما جاورها، وعينوا مجلسًا للشّيوخ بالمدينة الّتي اتخذوها عاصمةً لهم ترأسه سيدي عبد الرحمان الثّعالبي، كأميرٍ عليهم إلى أن توفي سنة 1468م وبقي الحكم في أيديهم إلى أن آل الأمر إلى أولاد سالم أحد بطون الثّعالبة الّذين انتخبوا سالم التّومي أميرًا عليهم، يساعده مجلس أعيان أعضائه من شيوخ وأثرياء القبيلة، يتشاور معهم في القضايا، وكان حكمه شديدًا لكن عندما حاول أهل الجزائر الخروج عن طاعته؛ استغل الأهالي ظهور الإسبان ليقدموا على التّحالف معهم لعلّهم ينقصون من وطأته (بن شنهو، 1972: 71-72).

كان هذا المجلس يضّم أعيان مدينة الجزائر من علمائها وفقهائها، يعقد جلساته في الجامع الكبير أو في دار الإمارة، وقد شكّل بهدف الإشراف على تسيير المدينة إلى جانب الأمير المعيّن من قبل قبيلة الثّعالبة وهو الّذي اتخذ تلك المبادرة التّاريخية في تشكيل وفدٍ للذّهاب إلى مدينة جيجل ليقدم طلب استنجادي للقائد المسلم بابا عروج لإنقاذ مدينة الجزائر من الهيمنة الإسبانية، وقيادة المجاهدين لاسترداد المراكز الإسلامية المحتلة وتحرير المسلمين من مخاطر المشروع الإسباني ومنع تكرار مأساة الأندلس في المغرب، لقد خاطب الوفد عروج بهذه الكلمات التّاريخية: "... سمعنا بكم أناسًا تحبون الجهاد وأخذتم بجاية

وجيجل من أيدي النّصارى ونصرتم الدّين فهنيئًا لكم أيها المجاهدون، لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة... " (قنان، 2007: 20-21).

لبّى عروج النّداء، حيث كان خلال هذه الفترة يملك أسطولًا صغيرًا من بضعة سفن يغزو به البحر وساعدته الأقدار بالنّصر والغنائم وألقته الرّيح على جزيرة جربة فحطّ بها بعض أثقاله وأتى لتونس وسلطانها يومئذ أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي فهداه بتحف ممّا غنم. فوقع ذلك من السلطان موقعًا حسنًا واستأذن في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة فأذن له شرط أن يرفع إليه خمس ممّا يغنمه فرضي عروج بذلك وسافر إلى جربة (بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، 2009: 34) غادر عروج قاعدته بجيجل على رأس قوة تضم 800 من عناصر يولداش (أنظر التّعليق رقم: 11)، و3000 من الأهالي بينما أبحر خير الدّين المتواجد في تونس ومعه 18 سفينة كبيرة و3 سفن مسلحة تحمل 2500 من البحارة، ووصلت القوات إلى الجزائر فاستقبلها أهل الجزائر استقبال الفاتحين وسار عروج فورًا إلى مدينة شرشال وحرّرها من أجل إيجاد ملجئٍ آمنٍ قريبٍ من جنوده من جهة ولتحقيق الانسجام من جنوده والسّكان المحليين أغلبهم من الأندلسيين والمتمرسين في العمل البحري، ولكسب بعض الوقت في انتظار وصول قوة خير الدّين البحرية من جهة والّذي انطلق من جيجل بعد أن ترك حامية بها 300 رجلًا للدّفاع عنها أو من جهة أخرى وصول سفينتين أرسلهما السّلطان العثماني وسفينة من جزيرة متلين تحمل اسحاق ومن شرشال اتجه إلى الجزائر (Haedo, 1881, 18)، وتمكن من استمالة الأهالي وقرّر زعماؤها وأصحاب الرّأي فيها إسناد واجب الجهاد إليه، وكان ذلك من أبرز أحداث الجزائر في سنة 1516م .

ما كاد يستقر في هذا الميناء حتى بدأ في إنشاء جيشٍ منظمٍ مسلحٍ (المدني، د.ت: 179-180)، وهو ما لم يكن موجودًا في السّابق أخذ في بسط نفوذه على البلاد وتقوية وسائل دفاع المدينة، ثم باشر مخطط تحطيم القلعة، فاعتبر نفسه في حل من المعاهدة السّابقة

المبرمة مع إسبانيا وعمد إلى فرض مراقبة شديدة على نبع الماء الّذي يمد الحامية الإسبانية، وقام بحفر خندق ونصب مدافعه في مواجهة القلعة، وأخذ في قصف الحامية الإسبانية في محاولة أولى يوم 12 أوت 1516م، ثم حرمهم من الماء نهائيًا ومن موارد التّموين، ما اضطرهم إلى التّموين من جزر البيليار.

ومع ظهور التّهديدات والاستعدادات الإسبانية القائمة في وهران للقيام بعمل عسكري ضدّه حاول استغلال هذه الظّروف لتعزيز مكانته باتخاذ مجموعة من الإجراءات: منها بسط نفوذه على كامل السّهول المحيطة بمدينة الجزائر ورفع رايته فوق أسوار المدينة والقلاع المحيطة بها، كما بادر بصك النّقود الّتي تحمل شعاره وواكب هذه الإنجازات بداية ظهور المؤامرات الدّاخلية، فتمّكن من قتل سالم التّومي الّذي حاول تقليص نفوذه وحاك المؤامرات ضده مستعينًا بالإسبان (أنظر التّعليق رقم: 12) أمام تزايد نفوذه وإقامته أسس دولة مركزية، الشّيء الّذي أزعج الصّليبيين وبدأوا في التّهيؤ والاستعداد لتوجيه ضربة قاضية تُنهي تواجد آل بربروس في المنطقة، فسيّروا ضد مدينة الجزائر حملة عسكرية بقيادة دييغو دو فيرا (Diégo de vera) سنة 1516م بعد أن تحالفوا مع أمير تنس الزّياني واستمالوا إليهم أتباع سالم المغتال (أنظر التّعليق رقم:13) وبعض زعماء القبائل المجاورة لكن لم يتحقق لهم ذلك الهدف إذ بعد يومين فقط من الإنزال استطاع عروج إلحاق الهزيمة بهم (غطاس وأخريات، 2007: 22-23).

دفع الانتصار على الإسبان سكان المدن المجاورة كالبليدة والمدية ودلس ومليانة وجزء من بلاد القبائل إلى مبايعة عروج أميرًا عليهم، وكانت هذه الحملة النّاجحة هي الّتي مهّدت لعروج بداية توسيع نفوذه في الجزائر، ولمّا كان موقف أمير تنس الزّياني التّحالف والتّعاون مع الإسبان، فقد قرر عروج الانتقام منه، وذهب على رأس قوةٍ كبيرةٍ واقتحم المدينة في جوان 1517م وقتله وأسر أسرته وطرد الإسبان من تنس (بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2، 2009: 14).

وبينما كان عروج في مدينة تنس ينظم شؤونها قدم إليه وفدٌ من تلمسان يشكو إليه أوضاعهم وتهديد الإسبان لهم بسبب ضعف أمراء بني زيان نظرًا لصراعاتهم على السّلطة، في هذه الظّروف قام أبو حمو الثّالث(أنظر التّعليق رقم: 14) بالاستيلاء على العرش في تلمسان بالقوة بعد أن طرد منه ابن أخيه أبا زيان الثّالث ووضعه في السّجن، بل أكثر من ذلك عمل على موالاة الإسبان والتّعامل معهم وقبول حمايتهم ولبّى عروج رغبة الوفد واستخلف أخاه خير الدّين على الجزائر، واتجه إلى تلمسان (قنان، 2007: 23)، وفي طريقه مرّ على قلعة بني راشد (قرب معسكر) فوضع بها حامية تركية كبيرة بقيادة أخيه إسحاق من أجل حماية مؤخرة الجيش وواصل زحفه إلى تلمسان واستطاع بسهولة التّغلب على أبي حمو الثّالث المتآمر مع الإسبان ودخل عروج تلمسان وأطلق سراح أبا زيان الثّالث وأجلسه على عرشه من جديد، لكن هذا السّلطان خاف من هيمنة عروج وحاول أن يغتاله مما أدّى إلى إلقاء القبض عليه واغتياله (بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2، 2009: 14-15).

انسحب السّلطان أبو حمو الثّالث الّذي فرّ إلى مدينة وهران للاحتماء والاستنجاد بالإسبان (أنظر التّعليق رقم 15)، فلم يتردد هؤلاء في تلبية طلبه لأنّهم انزعجوا من تنامي قوة ونفوذ الإخوة بربروسا فقاموا بتجهيز حملة عسكرية لمساعدته على استرداد تلمسان، فقاموا أوّلًا بحصار قلعة بني راشد، وانتهى الأمر بالقضاء على الحامية العثمانية وعلى أخ عروج اسحاق وذلك في جانفي 1518م.

توجه الإسبان إلى تلمسان وحاصروها ولما نفذت كل إمكانات المقاومة داخل المدينة اضطرّ عروج للخروج منها، فلحق به الإسبان ونشبت معركة بين الطّرفين انتهت باستشهاد عروج (أنظر التّعليق رقم: 16) ومن معه من الجنود وذلك في ماي من سنة 1518م.

لقد كان العمل الّذي قام به عروج مرحلةً مهمةً وممهدةً للاستقرار العثماني بالجزائر خاصةً وأنّه ركّز أقدامهم في بعض المدن السّاحلية لاسيما جيجل والجزائر اللّتان ستشكلان قاعدة انطلاق وحماية للجنود الأتراك الّذين استقروا بالجزائر وعلى الرّغم من أنّ استشهاد عروج يعدّ

خسارةً كبيرةً للأتراك، إلّا أنّه أعطى الفرصة لبروز خير الدّين (عقيب، 2012، صفحة 296).

حاول الإسبان تسيير حملة والقضاء نهائيًا على خير الدّين ومن تبقى معه، وفي هذا الشأن تقول عن الحملة (كورين شوفاليه): " ... في 17 أوت 1518 لمح خير الدّين قوارب الكفّار وهي تتقدم دفعةً واحدةً وأشرعتها مرفوعة وكان قد اكتشفها في منتصف النهار بأنّها قد رست بالقرب، وقد بعث قائد الحملة رسالة تحذير إلى خير الدّين يطلب منه الاستسلام، فردّ خير الدين عليها بجرأة وأنفة، السّيف هو الّذي يحكم بيننا، والّذي ينتصر يكون جديرًا بحكم هذه المدينة " (شوفالييه، 2007: 39)، وانتهت هذه الحملة بانتصار قوات خير الدّين واستطاع أن يأسر أكثر من ثلاثة آلاف جندي وست وثلاثين ضابطًا (وولف، 2009: 33).

2.II- معالم تشكيل النظام السياسي الجديد بالجزائر :

كان موقف خير الدّين حرجًا بعد مقتل شقيقه عروج، فقد كان الأعداء يحيطون به من كل جانب، فالإسبان وبنو زيان من الغرب، ومن الشّرق الإسبان والحفصيون، فأدرك ضعف موقفه السّياسي والعسكري ممّا دفعه للاستنجاد بالدّولة العثمانية، في هذه الأثناء كانت الإمبراطورية العثمانية في أوّج توسعاتها وحقّق الجيش العثماني انتصاراتٍ ساحقةٍ على الفرس عام 1514م، وفي سوريا عام 1515م، ثم في مصر1517م (غطاس وأخريات، 2007: 24).

شرع خير الدّين بربروس في إقناع سكان مدينة الجزائر من الأخطار المحيطة بهم، فبايعوه سلطانًا عليهم واهتم بتدعيم سلطته بالمدينة، فقرّب إليه المرابطين المعروفين بورعهم واهتم بتنظيم الدّفاع عن المدينة (التر، 1989: 71). وقام السّكان بإيعاز من خير الدّين إرسال وفدٍ إلى إسطنبول سنة 1519م حاملين معهم خطابًا إلى السّلطان سليم الأول تضمّن طلبًا للحماية والانضمام إلى الدّولة العثمانية، وممّا جاء في رسالتهم: " ومفادها ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أنّ خير الدّين كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أنّ عرفاء

البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعةً إليه حتّى لا يرتحل خوفًا من الكفّار إذ هدفهم النّيل منّا، ونحن على غاية الضّعف والبلاء ..." (التّميمي، 1976: 119).

يجب الإشارة إلى أنّ المجلس الّذي كان بمدينة الجزائر لم يعد له دورٌ بعد إرسال الخطاب إلى السّلطان العثماني، وتم حله بعد أن ظلّ قائمًا لمدة تصل إلى اثنين وثمانين سنة وحلّت محله دواوين الدّولة الجزائرية ممثلةً في النّظام السّياسي الجديد.

ويجب التّنويه إلى أنّ انضمام الجزائر للدّولة العثمانية لم يكن مخططًا له من قبل وإنّما أملته الظّروف ولا يوجد دليلٌ واضحٌ على صحّة ما كتب حول إيفاد السّلطان العثماني للإخوة أبناء يعقوب إلى إفريقيا للتّعرف عليها وتسهيل ضمّها إلى الخلافة، وهو الحال أيضًا بالنسبة للمغرب الأوسط قبل سنة 1519م، إلا أنّ الاعتقاد الوارد هو أنّ الخليفة العثماني كان يقدم الدّعم الدّائم لعروج وأخاه خير الدّين وكل البحارة العثمانيين قبل استقرارهم بإفريقيا (الجزائري، 1903: 60).

لقد كان تحمّل مجلس أعيان الجزائر وعلمائها المسؤولية وأخذ موقفًا تاريخيًا تمثل في رفضه القاطع قرار خير الدّين مغادرة الجزائر على لسان مفتي المدينة: "...حضوركم سيدي –يقول المفتي – ضروريٌ جدًّا لأمن هذه المدينة وسلامتها، المواطنون ليس لهم غيرك كحاكم، وسيكون من غير المشرف أن تتركهم عرضةً لهجمات الكفّار الّذين لا ينتظرون إلا الوقت الّذي تبتعد فيه عنهم ليُغرقوا هذه البلاد بجيش من البرابرة، تقترح على نفسك أن تذهب إلى اسطنبول لتشارك في الحملات الحربية، لكن تخدع نفسك إذا أنت تفكر في أن الله تعالى سيأخذ ما تقوله بعين الاعتبار في وقت تهمل فيه أكثر واجباتك أهمية، في القسطنطينية ألف آخرون، بإمكانهم أن يحلو محلك، لكن هنا لا أحد يمكنه أن يشغل مكانك، والعمل الأكثر استحقاقًا الّذي تستطيع أن تقوم به في نظر الله تعالى هو أن تبقى في هذه المدينة للدّفاع عنها ضدّ أعداء الدّين، وهذا الرّد يعتبر طلبًا ضمنيًا وتحميلًا للمسؤولية الأخلاقية والشّرعية (آجقو، 1994: 149) .

كما تكشف الرّسالة الموجهة إلى الخليفة سليم الأول من قبل مجلس الأعيان الدّور القيادي الّذي قام به المجلس كسندٍ لعروج وخير الدّين، في أوائل ذي القعدة بين 26 أكتوبر-03 نوفمبر 1519م جاء فيها: " ...إننا ندعو بالسّعادة والنّصر لمقام السّلطنة العليا، ونكتب لمقامها العالي معبرين ومعترفين بالإجلال والتّعظيم فقد أطعنا أمركم وعليكم لا محاولة اعتمادنا لقد جرت أحداثٌ جليلةٌ، حيث استولى الكفّار على بلاد الأندلس وانتقلوا منها إلى قلعة وهران وبجاية، وشدّدوا علينا الطّلب وآنذاك قدم ناصر الدّين وحامي المسلمين أروج فقبلناه بالعزم الكرم، إننا على غاية من الضّعف والبلاء، ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم سيأوي العباس أحمد راجين خدمة مقامكم العالي ..." (التّميمي، 1976: 116-120).

قبل السّلطان العثماني طلبهم، وأرسل صحبة مبعوثي الجزائر سنجقا (أنظر التّعليق رقم : 18) وكتابًا إلى أهل الجزائر وخير الدّين يتضمن الموافقة على طلبهم، وأنّهم من الّذين تشملهم عنايته.

وبذلك ارتبطت الجزائر بالدّولة العثمانية، وقد أمدّه السّلطان بمساعدة عسكرية تقدر بألفي جندي إنكشاري من خيرة مقاتلي الجيش العثماني وأربعة آلاف متطوعٍ، بالإضافة إلى عتادٍ ضخمٍ من الأسلحة والتّجهيزات الحربية، وكان الخليفة العثماني يدرك أهمية هذه الدّولة الجزائرية بالنّسبة للجهاد القائم فيها ضدّ الاستعمار الصّليبي الإسباني وأضفى على خير الدّين لقب بيلرباي (أنظر التّعليق رقم: 19) أمير الأمراء، لتتحول الجزائر إلى إيالة تابعة للإمبراطورية العثمانية ومركز حكم العثمانيين للبلاد المغاربية (غنابزية، 2018: 80).

الخاتمة:

لم يكن النّظام السّياسي في الجزائر خلال العهد الزّياني موحدًا وقويًا وواضح المعالم بل كانت تتعايش في الجزائر خلال أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السّادس عشر الكثير من الدّويلات والإمارات لم تملك القدرة على توحيد المغرب الأوسط ودفع الظّلم ورد المعتدين الطامعين الأقوياء في بسط نفوذهم سواءً من الجهة الشّرقية أو الغربية، وقد كانت

القوة الّتي تهدد الجزائر عندئذ إسبانيا الصّليبية الّتي لم تكتف بإخراج العرب والمسلمين من الأندلس بل طاردتهم في غرب البحر الأبيض المتوسط، واحتلت أجزاءً من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وطرابلس الغرب تمهيدًا لإلحاق البلاد المغاربية كلها بالمعسكر الغربي المسيحي الّذي تتزعمه إسبانيا.

لم يكن أمام الجزائريين في ظل الظّروف السّيئة إلّا الاستنجاد بالإخوة بربروس الّذين ذاع صيتهم في الحوض الغربي للمتوسط، وقد كان للعامل الدّيني الأثر البالغ في اتصال العثمانيين بالجزائر وتحريرها من الغزو الصّليبي.

لقد كانت مواقف بعض القبائل والشّخصيات البارزة في الحدث السّياسي بالجزائر مخزية بالتّحالف مع الإسبان للبقاء في الحكم وتحقيق أغراضٍ شخصيةٍ أخرى، وهذا ما يفسّر لنا ضعف السّلطة السّياسية في الجزائر وعدم قدرتها على توحيد أجزاء المغرب الأوسط قبل ظهور العثمانيين.

إنّ ظهور النّظام السّياسي العثماني بالجزائر يعود الفضل فيه إلى الإخوة بربروس والسّكان المحليين الّذين راسلوا السّلطان العثماني من أجل الانطواء تحت راية الإمبراطورية العثمانية وبالرّغم من عدم سقوط الحكم الزّياني نهائيًا خلال مطلع القرن السّادس عشر إلا أنّ ملامح الإيالة بدت واضحة تعبّر عن نظام سياسي جديد في البلاد أوجدته تلك الظّروف.

– الشّروحات والتّعليقات:

1) قبيلة الثّعالبة: نسبة إلى عبد الرّحمن بن محمد بن محمد مخلوف الثّعالبي من كبار علماء فصحائها ولد ونشأ بناحية وادي سير ‹788هـ 1387م › ثم جال بين بجاية وتونس ومصر وغيرها إلى أن عاد إلى الجزائر، توفي الثّعالبي ‹875هـ/1471 م بمدينة الجزائر ›. (**أنظر** :الجيلالي، تاريخ المدن الثّلاث ، الجزائر ، المدية ، مليانة ، في موسمها الألفي، 2007: 8)

2) بلدة كوكو توجد عند حدود سهول الجزائر الّتي تسمى سهول متيجة، من جهات الجنوب، والشّرق سلسلة جبال يسكنها أقوام من البربر وزواوة ومن بين الجبال المتصلة بها جبل يدعى جبل كوكو نسبة إلى المدينة الواقعة فيه. (**أنظر** :كربخال، 1989: 373-374).

3) سلاطين تقرت، هم من بقايا بني مرين، سكنوا تقرت ونواحيها من القرن 15 إلى القرن 19 م ومؤسس هذه الإمارة هو الحاج سليمان المريني الجلابي وقد حكم من 1414 إلى 1431 م وخلفه ابنه علي ثم حفيده أحمد وقد غزا صالح رايس تقرت 1552 أيام أحمد بن سليمان كما حاصر تقرت صالح باي أيام الأمير فرحات، وحكمت تقرت أميرات أيضًا منهن عيشوش أرملة الأمير عامر وذلك ما بين 1833 – 1841 وأخيرًا أمير جلابي هو سليمان بن علي الكبير ‹ 1852-1854 › (**أنظر** : بلحميسي، 1981: 85).

4) (إنني أرجو الأميرة ابنتي جيني والأمير زوجها فيليب وآمرهما بطاعة وصايا أمّنا القديسة الكنيسة طاعةً كاملةً، وأن يكونا حماتها والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبها وألا يكفا عن متابعة فتح إفريقيا، ومحاربة الكفّار في سبيل الايمان) (**أنظر** :فارس، 1969: 13).

5) فرديناند (1452 – 1516م) ملك أراغون تزوج سنة 1474م بالملكة إيزابيلا (1415 – 1504) ملكة قشتالة، وبزواجهما توحدت المملكتين في دولة واحدة، تمكنت من إسقاط آخر دولةٍ اسلاميةٍ بالأندلس (Braudel. , 1966, p. 19).

6) البينيون :قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تمامًا للمدينة وقريبة منها، اعتاد الإسبان أن يقيموا عليها قلاعًا حصينةً تهدد سكان السّاحل وتمنع في نفس الوقت وصول سفن المسلمين كلف الكونت بيير نفارو، الرّئيس الأكبر للأسطول الإسباني سنة 1510م قائد أسطول البحر الأبيض المتوسط، دييكو دي فيرا، بتشييد برج البنيون بالجزائر (**أنظر** :الوزان الفاسي، 1983: 38).

7) الإخوة بربروس هم عروج وخير الدّين وإلياس وإسحاق، والدهم اسمه يعقوب بن يوسف من جزيرة ميدلي في أرخبيل اليونان كان صانعًا للفخار ، أنظر عبد الرحمن الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام (**أنظر** :الجيلالي، تاريخ الجزائر العام . الجزء الثّالث.، 1994: 35).

8) أطلق الأوروبيون على عروج وخير الدّين اسم بربروس، وكلمة بابا تعني (احترام وتقدير) أما اصطلاحًا فهي رتبة عسكرية، أطلق النّصارى لقب بربروس أي ذي اللّحية الشّقراء على كل من

الأخوين عروج وخير الدّين اللّذان صارا مصدر رعبٍ وفزعٍ في البلدان المسيحية المتاخمة (**أنظر**: المدني، د.ت، صفحة 158).

9) جاءت هذه الهدنة بعد تعرض مدينة الجزائر لقذائف المدفعية الموجودة في حصن البينيون بسبب شن غارتهم على جزر ميروقة منورقة ومدتها عشر سنين مع دفع ضريبة للإسبان (**أنظر**: الوزان الفاسي، 1983: 38).

10) سليم التّومي، هو من قبيلة ثعلبة الّتي هي فرع من معقل، استولى على الحكم بالجزائر عندما احتل الإسبان بجاية واستقر فيها عدة سنوات (**أنظر**: الوزان الفاسي، 1983: 39) .

11) الجندي ومعناه الصّديق أو الرّفيق. (**أنظر**: هلايلي، 2007: 161).

12) يذكر أنّ سالم التّومي بعد أن أدرك أنّ عروج قد أبعد الخطر الإسباني عنه بدأ يحاول استرجاع سلطته واستغله الإسبان الّذين كانوا عاملًا قويًا في جعل شيخ المدينة يلعب على حبلين خاصةً وأنّ الإسبان قد تعهّدوا له بحماية عرشه مقابل الولاء وهو السّبب الرّئيسي في سخط الجزائريين عليه فكان ظهور عروج عاملًا مقلقًا لعملاء إسبانيا، الّذي رأوا فيه ضياع امتيازاتهم ففضلوا التّعاون مع الإسبان للقضاء على القوة النّاشئة (**أنظر**: الجيلالي، تاريخ المدن الثّلاث ، الجزائر ، المدية ، مليانة ، في موسمها الألفي، 2007: 109).

13) بعث القائد الإسباني ديغو دوفيرا رسالةً إلى يحي بن سالم التّومي يقول فيها: « أيها الشّريف الشّجاع والسّيد الأمين إنّ مولانا الملك وقداسة الكاردينال والي المملكة الإسبانية بلغتهما أنباء موت أبيك الصّادق الأمين... ، ولهذا تهيأ لمساعدتنا عندما تصل إلى مدينة الجزائر حتّى نقضي على الأتراك ومن تبعهم، الّذين كانوا سببًا في قتل أبيك وحتّى لا ينجو أحد من البر، أما من ناحية البحر فسأكفيك شرهم ولن يستطيعوا هروبًا دون أن ألاقيهم ولو فروا من اسطنبول.... » (**أنظر**: الجيلالي، تاريخ الجزائر العام . الجزء الثّالث.، 1994: 42).

14) حمو موسى الثّالث ‹1516-1528 › الملك الرابع والعشرون في الدّولة الزّيانية تولى شؤون الدّولة بعد مؤامرة لإزاحة السّلطان الشّرعي أبو زيان (**أنظر**: حساني، 2009: 102).

15) كتب إليهم " ...أنظروا كيف قطع عروج عنكم ما كنّا نصلكم به من الميرة وضيق عنكم ما كنا نوسعه عليكم فلو أعنتمونا عليهم بالمال والجند نرجع لكم جميعًا ما فقدتم مع مزيد من الإحسان... " (**أنظر**: الرّاشدي، 2013: 459).

16) اغتال الإسبان عروج بمكان يسمى وادي الملح قرب عين تموشنت في معركة ضارية بين الطّرفين ولقد قام الإسبان بحز رأسه وحمله إلى إسبانيا والطّواف به في شوارع مدنهم الرّئيسية (**أنظر**: قنان، 2007: 25).

17) سنجق لفظ فارسي بمعنى الرّاية أو العلم.

18) وهي رتبة تخول صاحبها اختصاصات سياسية وإدارية واسعة ومتشعبة، كما تجعله قائدًا أعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلًا عن السّلطان، وكان من مدلولات منح هذه الرّتبة الرّفيعة أن بلاد الجزائر أو المنطقة الّتي كان يحكمها خير الدّين في ذلك الوقت والّتي قد يمتد إليها نفوذه ونفوذ خلفائه تصبح تحت السّيادة العثمانية وأن أي اعتداءٍ خارجي على أراضيها يعتبر اعتداءً على الدّولة العثمانية (**أنظر**: الصّلابي، 2001: 213).

- المراجع:

1. أحمد توفيق المدني. (د.ت). حرب الثّلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792. قسنطينة: دار البعث.
2. أحمد سحنون الرّاشدي. (2013). الثّغر الجماني في إبتسام الثّغر الوهراني (المجلد 1). (بوعبدلي المهدي، المحرر) الجزائر: عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع.
3. الحسن محمد الوزان الفاسي. (1983). وصف إفريقيا، ج2 (المجلد 2). (محمد حجي، محمد الأخضر، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4. جمال قنان. (2007). معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830 (المجلد خاصة). الجزائر: وزارة المجاهدين.
5. جون وولف. (2009). الجزائر وأوربا 1500-1830 (المجلد طبعة خاصة). (أبو القاسم سعد الله، المترجمون) الجزائر: دار عالم المعرفة.
6. حنيفي هلايلي. (2007). بنية الجيش الجزائري في العهد العثماني (المجلد 1). الجزائر: دار الهدى.
7. خير الدّين بربروس. (2010). مذكرات خير الدّين بربروس. (محمد دراج، المترجمون) الجزائر: الأصالة للنشر.
8. سبنسر وليم. (2006). الجزائر في عهد رياس البحر. (زبادية عبد القادر، المترجمون) الجزائر: دار القصبة.
9. صالح عباد. (2012). الجزائر خلال الحكم التّركي 1514-1830. الجزائر: دار هومه.
10. عائشة غطاس، وأخريات. (2007). الدّولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
11. التّميمي عبد الجليل. (يوليو, 1976). أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السّلطان العثماني سليم الأول سنة 1519. المجلة التّاريخية المغربية (العدد 6)، 116-126.
12. عبد الحميد أبي زيان بن شنهو. (1972). دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر. الجزائر: المطبعة الشّعبية للجيش.

13. عبد الرحمان الجيلالي. (1994). تاريخ الجزائر العام . الجزء الثّالث. (المجلد 7). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
14. عبد الرّحمان الجيلالي. (2007). تاريخ المدن الثّلاث ، الجزائر ، المدية ، مليانة ، في موسمها الألفي. الجزائر: دار الأمة.
15. عزيز سامح التر. (1989). الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشّمالية. (محمود علي عامر، المترجمون) بيروت: دار النّهضة العربية.
16. آجقو علي. (1994). الدّولة الجزائرية الأولى 1514-1830 دراسة مؤسساتية. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد 2)، 137-156.
17. علي العبيدي. (2017). الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السّادس عشر الميلادي. تلمسان: دار النّشر الجامعي الجديد.
18. علي غنابزية. (2018). تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيو استراتيجي على ضفتي المتوسط 1492-1911. الجزائر: دار رؤى حضارية.
19. عمار بوحوش. (1997). التّاريخ السّياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
20. كورين شوفالييه. (2007). الثّلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541. (جمال حمادنة، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
21. مارمول كربخال. (1989). إفريقيا.ج2. (محمد حجي ، وآخرون، المترجمون) الرّباط: دار نشر المعرفة.
22. عقيب محمد السّعيد. (2012). دور خير الدّين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر. مجلة البحوث والدّراسات (العدد 13)، 289-304.
23. محمد خير فارس. (1969). تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي. بيروت: دار الشّرق.
24. محمد عبد القادر الجزائري. (1903). الزّائر في مآثر الأمير عبد القادر (سيرته السّيفية) (الإصدار ج1). الإسكندرية: المطبعة التّجارية.
25. محمد علي الصّلابي. (2001). الدّولة العثمانية عوامل النّهوض وأسباب السّقوط (المجلد 1). بور سعيد ، مصر: دار النّشر والتّوزيع الإسلامي.
26. مختار حساني. (2009). تاريخ الدّولة الزّيانية .ج1. الجزائر: منشورات الحضارة.
27. مولاي بلحميسي. (1981). الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (المجلد 1). الجزائر: الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
28. يحي بوعزيز. (2009). الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
29. يحي بوعزيز. (2009). علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830. الجزائر: دار البصائر.

30. Braudel, Ferand. (1966**). le Mediterranee et le Monde mediterranee** t2. pari: librairie Armand colin..
31. Haedo, F. D. (1881). **Histoire des rois d alger**. (D. G. H.D, Éd.) alger: adolphe jourdan, librair-editeur.